الاتجاهات النظرية في تفسير ظاهرة الانحراف

Theoretical trends in explaining the phenomenon of deviation

د/ محمد بوجطو

جامعة الدكتور يحي فارس/المدية، (الجزائر)

boudjetou@yahoo.fr

تاريخ الارسال: 2023/02/20 تاريخ القبول: 2024/06/02 تاريخ النشر: 2024/06/15

ملخص: *تعتبر ظاهرة الانحراف من بين المشاكل الاجتماعية التي تواجه الشباب آو الصغار على حد سواء ، لما تحمله من أثار نفسية واجتماعية على الفرد أو البيئة التي يعيش فيها، والانحراف سلوك مضاد للمجتمع يخرق القانون ويستحق نوعا من العقاب لأنه قد يتجاوز كل التوقعات التي يتم الاعتراف بشرعيتها من قبل النظم والمؤسسات الاجتماعية. هذا ما جعله موضوعا شائكا ومعقدا أثار الكثير من الجدل و النقاش، فكل عالم أ و باحث قد أعطى مدلولا خاصا للانحراف و المنحرفين، وذلك حسب التوجه المعرفي والنظري الذي ينتمي إليه، و لقد ظهرت العديد من الاتجاهات أو النظريات التي حاولت تفسير الانحراف بحيث أرجع الاتجاه النظري السوسيولوجي الانحراف إلى الظروف البيئية الاجتماعية ، لما لها من تأثير في تشكيل سلوك الفرد والسلوك الانحرافي ويكون في شكل سلوكيات وأفعال خارجة عن إطار النسق المجتمعي متجاوزا بذلك المعايير والمحددات الضوابط الاجتماعية ، و في المقابل نجد النظرية النفسية التي ذهبت إلى أن الانحراف مرض نفسي قديم يتشكل في فترة الطفولة المبكرة ليبرز في مراحل النمو المختلفة مولدا حالات القلق والاضطراب وعدم التوافق مع كل المستجدات الحياتية.*

الكلمات المفتاحية: *الانحراف ؛ المؤسسات الاجتماعية. ؛ السلوك المنحرف؛ نظريات الجريمة؛ العقاب*

Abstract*: The phenomenon of delinquency is considered among the social problems facing young people alike, because of the psychological and social effects it bears on the individual or the environment in which he lives. Deviation is an anti-social behavior that violates the law and deserves a kind of punishment because it may exceed all expectations that are recognized. legitimacy by social systems and institutions. This is what made it a thorny and complex subject that sparked a lot of controversy and discussion. Every scientist or researcher has given a special meaning to deviance and delinquents, according to the cognitive and theoretical orientation to which he belongs. Many trends or theories have appeared that tried to explain the deviation, so that the sociological theoretical trend attributed the deviation to the environmental and social conditions, because of their impact on shaping the individual's behavior and deviant behavior, in the form of behaviors and actions outside the framework of the societal system, bypassing the standards and determinants of social controls. On the other hand, we find the psychological theory that delinquency is an old psychological disease that forms in the early childhood period to emerge in the different stages of development, generating states of anxiety, turmoil, and incompatibility with all life developments.*

key words: *Deviation; Social institutions. ; Deviant behavior; crime theories, Punishment.*

.مقدّمة:

يعتبر الانحراف انتهاكا للمعايير والتوقعات الاجتماعية، والفعل المنحرف حالة من التصرفات السيئة التي تهدد كيان المجتمع، بل قد تهدد الحياة نفسها، وعليه فالانحراف يشير إلى جملة من السلوكيات والتصرفات السيئة التي تلقى الرفض في المجتمع ، والأفراد المنحرفون يشعرون دائما بنظرة الدونية لأنفسهم في مقارنة مستمرة بالآخرين، ويفكرون في أنفسهم أحيانا بأنهم لا يساوون شيئا، وأقل قيمة من الآخرين أو ناقصين عنهم، وهذا الشعور يولد لديهم الرغبة في إثبات الذات والحاجة إلى لفت الانتباه فيسلكون سلوكيات غير مقبولة اجتماعيا لكي يكونوا محور الحديث والاهتمام.

كما أن السلوك الانحرافي هو نتاج مجموعة من العوامل و الأسباب المتداخلة و التي تدخل الفرد في جملة من السلوكيات و التصرفات السيئة التي تلقى الرفض في المجتمع وتسبب العديد من المشاكل الاجتماعية.

ومن خلال هذه الورقة البحثية أردنا الإجابة على التساؤلات التالية:

ما هي أبرز الاتجاهات النظرية التي تناولت ظاهرة الانحراف ؟ وما هو التفسير العلمي الذي قدمته لهذه الظاهرة ؟

1. ماهية الانحراف

2.1 تعريف الانحراف:

يعرف الانحراف على أنه انتهاك للمعايير و التوقعات الاجتماعية، والفعل المنحرف ليس أكثر من حالة من التصرفات السيئة التي تهدد كيان المجتمع، بل وقد تهدد الحياة نفسها، وعليه فإن الانحراف يشير إلى جملة من السلوكيات و التصرفات السيئة التي تلقى الرفض في المجتمع، والأفراد المنحرفون يشعرون دائما بنظرة الدونية لأنفسهم في مقارنة مستمرة بالآخرين، ولا يسعنا تحديد مفهوم الانحراف إلى من خلال تحديد مدلول النظام و الامتثال والسواء (بوبيدي، 2009،2008، صفحة 40).

والانحراف هو وصف عام يطلق على كل سلوك لا يتسق مع القاعدة الأخلاقية القانونية أو الدينية أو الإنسانية أو في بعض الأحيان مع العرف العام للمجتمع ، فهو تجاوز لقيم المجتمع وإهمال لقيمه الاجتماعية، وتعدٍّ على نمط الحياة الاجتماعية القائم، وبالتالي يتمثل استخدام مصطلح الانحراف الاجتماعي في أي سلوك لا يتوافق مع التوقعات و المعايير التي تكون معلومة داخل النسق الاجتماعي ويشارك فيها الشخص بقية أعضاء المجتمع ، ومما لاشك فيه بأن جميع صنوف الانحراف عن المعايير الاجتماعية تواجه بالرفض والمعارضة من قبل المجتمع. كما أن هناك اتجاهات أخرى تحاول الربط بين الرغبات و الغرائز الفردية و الضغوط التي يتعرض لها الفرد. ويعتبر الانحراف بأنه انتهاك المعايير

والتوقعات الاجتماعية والفعل المنحرف ليس أكثر من حالة من التصرفات السيئة التي قد تهدد الحاجيات نفسها، كما يعرف الانحراف أيضا بأنه سلوك مضاد للمجتمع يخرق القانون ويستحق نوعا من العقاب. ويعرف كوهين السلوك المنحرف بأنه ذلك السلوك الذي قد يتجاوز كل التوقعات التي يتم الاعتراف بشرعيتها من قبل النظم و المؤسسات الاجتماعية (مسعودي، 2009، صفحة 170).

وانطلاقا من كل هذه التعاريف السابقة الذكر يمكن اعتبار الانحراف ذلك السلوك الذي يضم مجموعة من التصرفات المناقضة و المخالفة لمعايير وقيم المجتمع.

2.1 أنواع الانحراف:

هناك مجموعة من أنواع الانحرفات التي يمكن أن تتواجد في أي مجتمع، وفي ما يلي سنقدم عرضا لهذه الأنواع.

*الانحراف الفردي: ويطلق هذا النوع من الانحراف الذي يكون نابعا من شخصية الفرد نتيجة لاختلال عضوي أو عقلي أو يعاني من أمراض أو عيوب معينة.

*الانحراف بسبب الموقف : ويطلق هذا الانحراف على الانحراف الذي يسببه المحيط الاجتماعي للفرد ونتيجة تفاعله مع هذا المحيط وتعلمه عن طريق ملاحظة نماذج سلوكية منحرفة ، أو نتيجة تعرض الفرد لظروف معينة كانت أقوى منه ، ولم يجد حلا إلا بالارتماء في أحضان الانحراف و الإجرام.

*الانحراف المنظم : هو الذي يكون على شكل نسق اجتماعي قائم يستند إلى ثقافة فرعية تؤدي إلى ظهور جماعات منظمة تمارس الانحراف . (غيث، 1988، صفحة 101)

وهناك دراسة أخرى لتصنيف أنواع الانحراف حيث صنفته إلى أربعة أنواع هي:

*الانحراف العرضي : يطلق هذا النوع من الانحراف على الانحرافات التي لا تتميز بالاستمرارية، أو أنها خاصية عير ملازمة للفرد، فهو يحدث من حين لآخر ليس لأسباب نفسية أو تربوية أو حتى اجتماعية إنما يحدث بسبب الخطأ أو الاستكشاف ، ولا توجد صعوبة في هذه الحالة عن التراجع.

*الانحراف المحترف : يلجأ الأفراد إلى احتراف الانحراف من أجل تحقيق الأهداف المادية أو النفسية والعنصر الوحيد في احتراف الانحراف هو العنصر الوحيد للحصول على الرغبات المادية و الحاجات النفسية .

*الانحراف المنظم: يقوم هذا النوع من الانحراف على العمل الجماعي من أجل تحقيق أهداف معينة بوسائل وطرق غير مشروعة، والشيء المميز لهذا النوع من الانحراف هو وجود تنظيم معين ذو علاقات واضحة بين أفراده ، وأدوار معينة موزعة بين الجماعة. (مسعودي، 2009، الصفحات 172-173)

*الانحراف الجماعي : هذا النوع من الانحراف يمس قطاعا معينا من المجتمع، بحيث يصبح السلوك الانحرافي صفة مميزة لمجتمع معين ، فهناك حشد من المجتمع ينزع إلى ممارسة انحراف معين كتعاطي المخدرات أو ارتكاب عدوان معين أو ممارسة الجنس اللاشرعي ، بحيث تصبح الجريمة يمثلها قطاع كبير من الناس، وهذا ما نلاحظه في المجتمعات الحالية بحيث زادت نسبة انتشار هذا النوع من الانحراف.

2. الاتجاهات النظرية في تفسير الانحراف

1.2 الاتجاه البيولوجي .

تأخذ النظرية البيولوجية بفكرة الردة الوراثية وإلى اتسام المجرم بجملة من الصفات والسمات الجسدية الجسمية التي تميزه عن غيره، فحاولت الكشف عن المحددات البيولوجية للإجرام وتصنيف تلك السمات على أساس أنها سمات المجرم، وكان " ديللا بورت من الأوائل الذين اهتموا بهذا الأمر في القرن السابع عشر، بالإضافة إلى" لافيتيه Porte " في القرن الثامن عشر الذي اهتم بشكل الدماغ على أساس أنه يكشف عن استعداد الشخص للإجرام. (غباري، دون سنة، صفحة 38)

ونقصد بالوراثة بأنها انتقال الصفات الوراثية الجسمية و النفسية من الآباء إلى الأبناء ، فالوراثة هي قوة أولية ومحدودة في النمو الأساسي للفرد ، حيث أنه من الواضح أن سلوك الإنسان لا يتغير فقط بالظروف بل بالعوامل الفيزيولوجية أيضا ، وقد يرث الابن صفة من الأب كأن يكون الأب لصا فيصبح الطفل لصا كذلك ، كما أنه قد لا يرث نفس الصفة كأن يكون الأب مدمنا فينشأ الطفل لصا أو سيء السلوك وغيرها .

كما يرى هذا الاتجاه بأن للتكوين العقلي أو العضوي دور في الانحراف ، بحيث أن التكوين العضوي هو مجموع الصفات التي تتعلق بالفرد منذ ولادته بالنسبة لشكله الخارجي وتركيبه العضوي البيولوجي ، ومن مظاهره التي تؤثر على سلوك الفرد وتدفعه للقيام بتصرفات شاذة مثل النقص في التكوين الجسدي و الأمراض و العاهات الدائمة أو المؤقتة و النمو غير الطبيعي، فاختلال الجسم قد ينجر معه اختلال في السلوك ، بحيث أن العاهات التي تصيب الحدث قد تدفعه إلى الإحساس بالنقص المتزايد ، ومن ثم الإتيان بتصرفات شاذة و أفعال انحرافية ، فالنقص العقلي هو الخلل في القدرة العقلية والضعف العقلي هو نقص في درجة الذكاء وغالبا ما يكون موروثا و يؤدي إلى عدم القدرة على التكيف الاجتماعي.

هناك الكثير من الدراسات التي استهدفت دراسة موجات المخ لدى هؤلاء المنحرفين وغيرهم من الجماعات الضابطة ، ولقد استعرض إلنجيسون 1954ellingeson هذه الدراسات التي تناولت عينة مكونة من 1500منحرفا حيث كان من بينهم نسبة مكونة من 31% إلى 85% حسب ما أظهرته موجات المخ عندهم شذوذ . ولقد لوحظ وجود كروموزومات ذكرية إضافية لدى الأشخاص الذين يرتكبون جرائم

عنف ، فالمعروف أن الخلية الذكرية السوية يوجد فيها كروموزوم " y " والآخر "x" والخلية الأنثوية السليمة يوجد بها كروموزوم " xx" لكن لوحظ أن خلايا بعض الرجال تحمل كروموزوم "x" واحدة أكثر من "y" ، أي أن ذكورتهم زائدة أو متفوقة .

كما توجد دراسة بولمان لعائلة الزيروس في مدينة بوم الألمانية سنة 1907، وهي عائلة انحدرت من امرأة عرفت بإدمانها على الكحول و المخدرات، ومن خلال تعقب حياة أفراده الذين قاربوا 800 فرد لمدة ستة أجيال متعاقبة وجد أن هذه الأسرة احتوت على "102" شحاذا و "117" طفلا غير شرعي و 18 بغيا و 86 مجرما و "7" قتلة . (مهدي، 2005، صفحة 21)

وهذا ما يدل على أن الجينات الوراثية تلعب دورا كبيرا في تحديد سلوك الفرد في المستقبل، بحيث أن الصفات أو السلوكيات الإنحرافية قد تنتقل من جيل لآخر عبر المورثات ليصبح هذا الفرد مجرما بالفطرة لأنه يحمل معه جينات أو مورثات للإجرام .

هناك عدة نظريات حاولت تفسير السلوك المنحرف على أساس الخلل العضوي للمنحرف أو المجرم، و من أهم هذه النظريات :النظرية العضوية بريادة " سيزار لومبروزو" الإيطالي؛ و قد كانت هناك محاولات عديدة من الباحثين قبل "لومبروزو "أمثال " ديلابورت الإيطالي في القرن السابع عشر، و"لافيتيه" الفرنسي في القرن الثامن عشر، و نظرا لأن " لومبروزو " كان طبيبا و ضابطا و أستاذا جامعيا، فقد قام بفحص بعض الجنود و الضباط الأشرار و الأخيار معا ، و قد توصل إلى أن المجرم أو المنحرف إنسان شاذ من الناحيتين العضوية و النفسية، فمن الناحية العضوية يتميز بعدم انتظام في شكل الجمجمة وضخامة في الفكين و بروز في عظم الخدين و غيرها من الصفات؛ و من الناحية النفسية لاحظ " لومبروزو " ضعف إحساس المجرمين بالألم نتيجة لكثرة الوشم على أجسامهم، و غلظة القلب وانعدام الشعور بالخجل و غيرها، فالمنحرف أو المجرم عند "لومبروزو" عبارة عن صورة للإنسان البدائي، و إذا لم تكن هيئته على هذه الحال فإنه يرتد عند انحرافه إلى الحالة البدائية الأولى، هذه الأخيرة هي جوهر نظريته. (العيساوي، 2004، صفحة 67)

و بالتالي فإن النظرية البيولوجية انطلقت في تفسيرها للسلوك الجانح من منطلق بيولوجي فطري وراثي،حيث أن المجرم يتميز بصفات جسمية خاصة ونمط معين للجسم يميزه عن غيره من العاديين ، فتزامن هذا الاهتمام مع الاتجاه الفيزيولوجي في تفسير السلوك اللاسوي و المدارس النفسية التي تفسر الظاهرة الإجرامية و الانحرافية.

يمكن القول مما سبق أن النظرية البيولوجية تؤمن بأن التكوين البيولوجي و الفيزيولوجي يساهم في السلوك الإجرامي و الانحرافي لما للغدد و السمات الشاذة و قبح الوجه و التشوه الجسمي من أثر في تحديد سلوكيات الفرد، فقد يجعل من الفرد مجرما كما قد يجعله مواطنا صالحا ،غير أنه يجب علينا التأكيد على فكرة أن الجانب البيولوجي للفرد ليس هو المسؤول فقط عن السلوك اللاسوي أو المنحرف

فالإجرامي، حيث أن هناك جوانب أخرى نفسية ، اجتماعية ، وأخلاقية، كلها تساهم و بنسب مختلفة في تحديد سلوك الفرد و نمط شخصيته . لذا تجدر الإشارة إلى أنه ليس كل مشوه منحرف أو من يعاني عاهات جسمية جسدية هو مجرم ، أضف إلى ذلك أنه ليس كل من يعاني اختلالات وظيفية غددية هو منحرف وغيرها ، بل نجد من هو معاق وهو مواطن صالح ، كما نجد من لا يعاني أي اضطرابات جسدية هو منحرف ،ومنه لا يمكن القول أن الجانب البيولوجي للفرد هو المحدد الوحيد لسلوكه سواء الإجرامي أو السوي بل هناك جوانب أخرى تساهم في ذلك (بوبيدي، 2009،2008، صفحة 101).

2.2 الاتجاه النفسي:

يركز هذا الاتجاه على أن الانحراف هو نتيجة لمجموعة من العوامل النفسية أو الاضطرابات، بحيث توجد مجموعة من الخصائص و الصفات المميزة تؤثر في سلوك الفرد و تجعله يميل إلى الانحراف، غير أن التكوين النفسي بذاته لا يؤدي إلى الانحراف و الإجرام، وإنما يكمن في هذا التكوين الاستعداد للانحراف والميل للقيام به، ولا يتحول صاحبه منحرفا أو مجرما إلا بتوافر ظروف وميكانيزمات تحفز وتشجع عليه .

ويعرف علماء النفس التكوين النفسي بأن الصفات التي تتصف بها شخصية الحدث بما تشمله من عواطف وغرائز وميول ، وهي ما يولد الطفل مزودا بها، تتطلب إشباعا ، وعدم إشباع هذه الميول والغرائز يولد حالة من التوتر و القلق الشديدين ، وصولا لتحقيق اللذة وتجنب الألم، وبغض النظر عما إذا كان هذا السلوك يتوافق أو يتعارض مع القيم الاجتماعية و الأخلاقية ، من هنا ينشأ ذلك الصراع بين الحاجة المستمرة و إشباع تلك المتطلبات وظروف الحياة ،

لقد أسفرت دراسة" برونر وهيلي" على أن الانحراف يرجع إلى سوء تكيف الذات العليا عند الأفراد، كما لم تكن لدى المنحرفين علاقات عاطفية قوية تربطهم بشخص يتصف بسلوك اجتماعي سوي، ولم يتيسر أن يتقمصوا شخصية أحد الوالدين، وذلك لعدم إعجابهم بأسرهم وانعدام صلاتهم الاجتماعية.

كما تذهب " كيت فريد لاندر " وهي من العلماء التحليليين إلى أن أعراض الجانحة إنما ترجع في أساسها إلى اضطراب في تكوين الأنا، و بالتالي فإن الجنوح و الانحراف هو نمو مضطرب في تكوين الأنا، و أن هذا النمو المضطرب يكون نتيجة عدم حدوث التعديل اللازم في الدوافع الفطرية غير المهذبة للأطفال من جهة، و إلى أن الذات العليا تكون عاجزة عن التحكم في الأنا، و بالتالي فإن هؤلاء الأفراد لا يجدون في هذه المرحلة التكوينية من الأوامر و النواهي ما يحول بينهم وبين دوافعهم، حيث أن لديهم اضطرابا في في المعايير و القيم الاجتماعية (قواسمية، 1992، الصفحات 84-85).

و تفترض مدرسة التحليل النفسي بوجه عام أن السلوك الإجرامي أو السلوك الجانح هو سلوك إنساني يشكل استجابة بديلة لمركبات أو نوازع فطرية مكبوتة، فقد ينشأ مثل هذا السلوك نتيجة

للصراعات التي تجري بين الدوافع الفطرية أو الغرائز الداخلية، و قد يكون هذا السلوك نتيجة تنشئة اجتماعية خاطئة. أما " فرويد " رائد مدرسة التحليل النفسي و مؤسسها، فهو يرد الاتجاهات الإجرامية والجانحة إلى أعراض مرضية عصابية، لأن السلوك الإجرامي أو الجانح يشكلان استجابة بديلة لمركبات مكبوتة، و يفسر ذلك بأن أي صراع لا شعوري يجري في العقل الباطن يخلق شعورا بالذنب أو يؤدي إلى التوتر و القلق، وفي هذه الحالة يسعى الفرد لتحقيق حدة هذا التوتر أو القلق لإزالة الشعور بالذنب وبهدف تحقيق شيء من التوازن بين الخير و بين الشر، وذلك حين يعمد الفرد إلى ارتكاب الجريمة أو السلوك الجانح الممنوع لكي يقبض عليه و ينال العقاب. و يعتقد " فرويد " بأن هناك مجموعتين من الغرائز الأولية تعملان بداخل الفرد، أحدهما غريزة الموت التي تتخذ مظاهر الإيذاء و العدوان و التدمير وقد تقود إلى تدمير الحياة ذاتها، أما المجموعة الأخرى من هذه الغرائز فهي التي تقوم حول غريزة الحياة التي تهدف إلى كل ما من شأنه حماية النفس و المحافظة على الحياة، و يفسر " فرويد " جميع مظاهر القسوة و النزاع و الحرب كجزء من غريزة التدمير و الموت التي يحملها الفرد في عقله الباطن، وفي هذا الصدد تؤكد الأبحاث بأن هناك علاقة بين المرض النفسي والانحراف أو الجريمة (مسعودي، 2009، صفحة 191).

ولقد اختلفت المدارس النفسية في تحليلها للسلوك المنحرف و الإجرامي، فكل منها قد أوعز الانحراف والإجرام إلى عامل معين، وفيما يلي أهم العوامل الكامنة وراء الانحراف و الخروج عن القانون نوردها كما يلي:

- <u>الانحراف نتيجة المحاكاة:</u>

يرى "غبريال تارد "أن السلوك المنحرف أو الخروج عن القانون يعود إلى عامل أساسي هو المحاكاة، وأكد ذلك في كتاب الفلسفة العقابية، حيث أن الخروج عن القانون هو أمر يتعلمه الطفل من المحيط الذي يوجد به، وذلك عن طريق محاكاة و تقليد المجرمين من أهله وأقرانه أو أصدقائه، فالسلوك المنحرف و الإجرامي خلق يتطبع الفرد عليه اجتماعيا منذ الصغر (بوبيدي، 2009،2008، صفحة 108). وهذا ما تؤكده النظرية السلوكية بحيث تعتبر الانحراف بأنه عبارة عن سلوك أكتسبه الفرد انطلاقا من مجموعة من المثيرات الخارجية.

- <u>الإجرام نتيجة الصراع النفسي و الحرمان العاطفي:</u>

من رواد هذا الاتجاه نجد" فرويد "و"وليام هيلي "العالم الأمريكي، حيث قاما ببحوث متنوعة في ميدان جناح الأحداث، فأكدا أن الدوافع الأساسية للإجرام و الانحراف مستترة لاشعورية ولا يمكن الكشف عنها إلا بالتحليل النفسي، فالطفل في نظرهما يتمثل خلال مراحل حياته عناصر العالم الخارجي و يسقط رغباته الملحة غير المرغوب فيها على العالم الخارجي، غير أنه في هذه المراحل يتصور ويفكر وفقا لرغباته و ليس وفقا للحقائق الموضوعية (الساعاتي، 1983، صفحة 104).

- الإجرام نتيجة طاقة غريزية زائدة عن الحد:

يرى "بيرت"النفساني الانجليزي أن السلوك الإجرامي ناجم عن المظاهر الطبيعية غير المقيدة للدوافع الغريزية أي الدوافع الفطرية، لتعد الأشكال المختلفة للجناح كالسرقة ،الاعتداءات و الشذوذ الجنسي وغيرها من الأفعال، تعبيرات عن غرائز، أي دوافع فطرية عامة معينة، قوية في طاقتها وشديدة في مدتها عن الحد المعقول والمعتاد، وعليه فالسلوك الانحرافي يعتبر رد فعل انفعالي من الفرد نتيجة لدوافع فطرية عامة ورغبات عنيفة تحتاج إلى الإشباع تلح عليه بقوة، ونتيجة لهذه الضغوط يتولد لدى الفرد حالات من القلق و التوتر الزائدين و الخوف من عدم تلبية الحاجات و الإخفاق في تحقيقها، و يتضمن ذلك مواجهة موقف تتكامل فيه ثلاث عناصر: الدافع ومدى قوته، الوسائل المتاحة لإشباعه سواء كانت عادية أو شاذة و الحالة الانفعالية ومدى شدتها، فقوة الدافع و الحاجة التي يتطلب فيها الإشباع تزيد من فرص الانحراف (الساعاتي، 1983، صفحة 104).

3.2 الاتجاه الاجتماعي:

يتضمن هذا الاتجاه مجموعة من النظريات المفسرة للسلوك الانحرافي و التي تعتمد على العامل الاجتماعي كعامل رئيسي في نشوء الانحراف، ومن بين هذه النظريات:

*نظرية اللامعيارية " الأنومي "Anomie":

يشير دوركايم إلى حالة اللامعيارية بأنها حالة تغيب فيها المعايير الاجتماعية، وتنعدم فيها القواعد المسؤولة عن توجيه سلوك الأفراد وتنظيم نشاطاتهم في إطار النظام الاجتماعي القائم، وغالبا ما تؤدي هذه الحالة إلى انعدام الرؤية لدى الأفراد و اختلال إدراكهم السليم للتمييز بين ما هو ممكن و ما هو غير ممكن، وبين ما هو عادل وما هو غير عادل، و بالتالي فإن اللامعيارية حسب دوركايم تعني انهيار المعايير الاجتماعية المسؤولة عن تنظيم علاقات الأفراد ببعضهم البعض في إطار اجتماعي واحد، بحيث أن الأنوميا هي حالة عجز المجتمع أو المعايير الاجتماعية على ضبط السلوك للأفراد، أي أنها تصلب باضطراب أو عدم القدرة على القيام بوظائفها، وأشار دوركايم إلى أن التغير الاجتماعي الذي أحدثته الثورة الصناعية و التحضر أديا إلى حالة الأنوميا، و بالتالي حالات الأنوميا كذلك من بين الأسباب التي تكون وراء انتشار الجريمة و الانحراف، و حسب دوركايم القهر و التسلط الذي يمارسه بعض الأفراد ضد البعض الآخر يؤدي إلى اختلال في المعايير الاجتماعية، وهذا ما بينه بوضوح في كتابه" تقسيم العمل الاجتماعي"، فالفقر باعتباره انعكاسا صارخا لانعدام وغياب العدالة الاجتماعية بين مختلف أفراد الطبقات، ينتج عنه معارضة ورفض للقيم والمعايير الاجتماعية و الأخلاقية التي يؤمن بها أغلبية المجتمع ، وعليه فقد تكون الجريمة بأشكالها المختلفة صورة من صور الرفض الاجتماعي ، و الفرد الذي لا يصل إلى تحقيق أهدافه و طموحاته عن طريق الوسائل المعترف بها والشرعية يلجأ إلى طرق إجرامية لتحقيق هذه الطموحات مثل الإقبال على السرقة ، الرشوة و غيرها من الطرق الأخرى، ويخلص دوركايم هنا إلى أن

القهر الاجتماعي يلعب دورا حاسما في توليد الضغط لدى بعض الأفراد كي ينحرفوا اجتماعيا. ويشير تراشر فريدريك أن العصبة عامل أساسي في انحراف الأطفال فهي تسهل ظاهرة الجريمة من خلال تسهيلها عملية تنفيذها، و تعزيز إرادة التنفيذ كما أن التفاعل بين أفراد العصبة يتيح عملية انتقال الخبرات الانحرافية وأساليب وطرق الانحراف، بمعنى أنها تقوم بعملية تلقين مبادئ الانحراف و أساليبه بشكل تلقائي أو مقصود أو هادف (مسعودي، 2009، الصفحات 197-198).

وفقا لتراشر العصبة تطورت عن جماعات اللعب للأطفال، و لظروف اجتماعية معينة تطورت هذه الجماعات إلى عصابات تمتهن الانحراف و الجريمة و قد يكون الدافع لهذا التطور هو إشباع الحاجات، و الاستجابة للدوافع التي حرموا منها أثناء الطفولة، وللظروف الاجتماعية المحيطة دور كبير في ظهور العصبة ، كغياب الضبط الأسري ، و تشجيع وسائل الإعلام ، ووجود ثقافة سفلية مشجعة على ذلك، والواقع أن " تراشر " يكاد يشارك كل من " دور كايم " و " ميرتون " في التأكيد على مدى فاعلية البيئة في بلورة السلوك الجانح حيث يكون الجنوح حصيلة البيئة التي تسهم في تطويره، و" يمكن أن يكون نتيجة المعاناة و القهر الاجتماعي الذي يأخذ شكل سوء تكيف أو "تكيف مرضي " لشروط بيئة سيئة، وباختصار فإن نظرية العصبة هذه تحاول أن تبرز عامل الضغط أو القهر الاجتماعي الناشئ عن حالة الفقر أحيانا كعنصر جوهري في تكوين الجنوح أو الانحراف ، و لعل هذا يؤكد الدور الكبير الذي تقوم به البيئة في خلق السلوك الجانح ، إذ هي تضعف فاعلية الضوابط الاجتماعية التقليدية السائدة في ثقافة المجتمع من جهة، و من الجهة الأخرى تساعد على ظهور بعض النماذج الشخصية السيئة التي يحاول الأطفال أن يحذو حذوها. (مسعودي، 2009، صفحة 198)

*نظرية الانتقال الثقافي:

و هذه نظرية اجتماعية أخرى تؤكد فرضيات "دور كايم" و "ميرتون " في أهمية المعاناة الاقتصادية التي تقود الأفراد إلى التماس البدائل غير المشروعة، وتقوم نظرية الانتقال الثقافي على منهج إيكولوجي تبوئي واضح لدراسة الخصائص الثقافية لبعض المناطق ذات المعدلات العالية في الجنوح والجريمة، ويرى الباحثان الأمريكيان " كليفورد شو " و " هنري ماكي " أن بعض مناطق مدينة شيكاغو الأمريكية تحافظ على معدلات ثابتة من الجنوح، وذلك خلال فترات زمنية متعاقبة بالرغم مما تتعرض له هذه المناطق من تغييرات ديموغرافية سكانية كثيرة ، و هما يفسران ذلك بأن الجريمة و جنوح الأحداث تنتقلان ثقافيا من جماعة إلى أخرى ومن جيل إلى آخر ، بحيث تحافظ معدلات الجريمة و الجنوح على مستوياتها ، و يتم هذا الانتقال الثقافي من خلال عمليات ثقافية عن طريق الاتصال الشخصي بين الأفراد و بين الجماعات على السواء، كما و يساعد على ذلك ضعف فعالية المؤسسات الاجتماعية العاملة في ميدان الضبط الاجتماعي،إن الجنوح أو الانحراف يصبح في هذه الحالة تقليدا اجتماعيا بالنسبة إلى عدد كبير من الأطفال أو الأحداث الأمر الذي يسهم في تكوين الانحراف بصورة مستمرة و بمستويات ثابتة مستقرة،

فالطفل الذي يعيش في مثل هذه المناطق الجانحة يجد نفسه شخصا سويا و متوافقا اجتماعيا مع الجماعات التي يعيش بينها، كما و أن هذه الجماعات المحلية لا تستنكر سلوكه الجانح و لا تستهجن أفعاله لأن مثل هذا المجتمع أو الجماعات تتوقع منه مثل هذا السلوك، و توصلت النظرية في نهاية الأمر إلى أن صورتي السلوك الإنحرافي المتمثلتين في الجريمة و الجناح ، أصبحتا بمثابة " مظاهر تقليدية للحياة الاجتماعية " في المناطق ذات معدلات الجناح المرتفعة، و إن تقاليد الجناح " تنتقل " عن طريق الاتصالات الشخصية و الجماعية، وأما الهيئات التي تقوم بنقلها فهي تتمثل في جماعات اللعب والعصابات. (مسعودي، 2009، صفحة 199)

3.الخاتمة:

من خلال ما سبق لا يمكن القول بأن هناك اتجاه نظري أصح من اتجاه، وإنما هناك تداخل وتفاعل بين جميع هذه العوامل أو الاتجاهات في تفسير السلوك الانحرافي، لأنه لا يمكن أن نفصل العوامل النفسية أو الوراثية ولا حتى الاجتماعية في تكوين سلوك الفرد ، فالفرد كائن اجتماعي يتأثر بجملة من العوامل النفسية و الشعورية و التي تدخل في تحديد سلوكه، كما أنه كائن بيولوجي يحمل معه مجموعة من الجينات الوراثية التي انتقلت من أسلافه أو أبائه و التي هي بدورها لها تأثير على سلوكياته وتصرفاته، يضاف إلى ذلك العوامل الاجتماعية البيئية و التي تصادف الفرد في محيطه الخارجي و هي بدورها لها تأثير على سلوكه، إذن فالسلوك الإنساني سواء كان سويا أو غير سوي فهو نتاج تداخل مجموعة من العوامل الاجتماعية و النفسية و البيولوجية، كلها تتفاعل لتعطي نمطا معينا من السلوكيات، و لا يمكن أن نتجاهل أي جانب منها في تحليل أو تفسير السلوك الإنساني، لهذا فإن لهذه التفسيرات دور في التعرف على المنحرفين، أو بالأحرى تحديد أهم العوامل المتحكمة في الانحراف، و التي بإمكانها أن تكون سببا في أن يكون الفرد منحرفا أو لا، لذا فإن لهذه النظريات دور كبير في التعرف على الفئة التي يمكن أن تعاني الانحراف، و تساعد بذلك على التنبؤ بها، و من ثم الوقاية من هذا الخطر أو المشكل الاجتماعي الذي يعاني منه الشباب، بحيث أن الوقاية من الانحراف هي محاولة التغلب على الشروط و الظروف التي تؤدي بالأفراد إلى اتباع سلوكيات إجرامية، أو القيام بأعمال تعد مخالفة للقانون والعرف.

وبالتالي فإن الوقاية هي عملية اتخاذ التدابير اللازمة للوقاية من الانحراف، ولا تنفصل على الأحوال الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية السائدة في المجتمع ، وهي تعكس مدى مرونة القواعد التي تقوم عليها، وتعبر عن القيم الإنسانية والبناء الحضاري الذي يتعين أن يكون بعيدا عن الفساد والاضطراب، تلك التي تقوم على أساس الوقاية العامة، والتي تتناول وضع الخطط و البرامج الشاملة من قبل السلطات والهيئات المختصة التي من شأنها القضاء على العوامل المؤدية للإجرام. والوقاية الخاصة التي يعتمدها الأفراد بوسائلهم الخاصة من أجل الظروف التي يمكن أن تجعل منهم هدفا للاعتداء

عليهم، وتهدف الوقاية إلى إزالة وإضعاف الظروف البيولوجية و الاجتماعية المباشرة وغير المباشرة للجريمة والتي تعمل على تنمية الظواهر الإجرامية.

4.قائمة المراجع:

*السعيد مهدي. (2005). دور الخدمة الاجتماعية في الحد أو التخفيف من ظاهرة تشرد الأحداث. *مذكرة ماجستير* . المسيلة، قسم علم الاجتماع و الديمغرافيا: جامعة محمد بوضياف.

*سامية حسن الساعاتي. (1983). *الجريمة* (الإصدار 2). بيروت: دار النهضة العربية.

*سلامة محمد غباري. (دون سنة). *الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين*. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

*عبد الرحمان العيساوي. (2004). *سيكولوجية الإجرام* (الإصدار 1). بيروت: دار النهضة العربية.

*لامية بوبيدي. (2009،2008). انحراف الأحداث في المجتمع الجزائري. *أطروحة دكتوراه* . كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية قسم علم الاجتماع و الديمغرافيا، الجزائر: جامعة الحاج لخضر باتنة.

*محمد عاطف غيث. (1988). *المشاكل الاجتماعية و السلوك الإنحرافي*. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية .

*محمد عبد القادر قواسمية. (1992). *جنوح الأحداث في التشريع الجزائري*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

*مولخير مسعودي. (2009). الاتصال الأسري داخل الأسرة و أثره على انحراف الأبناء. *أطروحة دكتوراه* . قسم علم الاجتماع و الديمغرافيا، البليدة: جامعة سعد دحلب البليدة.